الباجـوري شيـخ جامـع الأزهـر

يمثل الجامع الأزهر صرحاً إسلامياً شامخاً في حمل الدعوة الإسلامية ، ورعاية العلوم الدينية ، ونشر أحكام الشريعة الغراء ، وتخريج الأئمة والعلماء والدعاة والمفكرين والقضاة وزعماء الإصلاح والنهضة في العالم العربي والإسلامي .

وكانت مشيخة الأزهر أعلى المناصب الدينية التي تحتل مركزاً مرموقاً في العالم الإسلامي عامة ، وفي الديار المصرية خاصة ، وكان تعيين شيخ الجامع الأزهر محصوراً بكبار العلماء ، ومنهم الشيخ الباجوري رحمه الله تعالى ، الذي نلقي الضوء على حياته وشخصيته ومكانته العلمية ومصنفاته العديدة .

أولاً : ترجمته : هو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري المصري الشافعي ونسبته إلى الباجور ، وهي قرية بمديرية المنوفية بمصر ، وإليها نسبته .

ولد الشيخ الباجوري في الباجوري سنة ١١٩٨ هـ/ ١٧٨٤م ، ونشأ بها في حجر والده الشيخ محمد ، وقرأ عليه القرآن الكريم في غاية الإتقان والتجويد ، ثم قدم إلى الأزهر لطلب العلم سنة ١٢١٢ هـ ، ومكث فيه حتى دخل الفرنسيون القاهرة سنة ١٢١٣ هـ ، فخرج منها إلى الجيزة ، وأقام بها مدة ، ولما خرج الفرنسيون رجع إلى الأزهر سنة ١٢١٦ هـ.

وأخذ بالاشتغال في العلم ، وفي مدة يسيرة ظهرت عليه آية النجابة ،

وتميز بذلك على الأقران والأمثال ، وأدرك مشايخ الأزهر الجهابذة الأفاضل ، منهم: الشيخ محمد الأمير الكبير ، والشيخ عبد الله الشرقاوي والشيخ داود القلعاوي ، ومن كان في عصرهم ، وتلقى عنهم ما تيسر من العلوم ولكن كانت أكثر تلمذته للشيخ محمد الفضالي ، والشيخ حسن القويسني شيخ الجامع الأزهر حتى سنة ١٢٥٤ هـ/ ١٨٣٨م ، وحصل الشيخ الباجوري العلوم الشرعية والعلوم العقلية والعلوم العربية ، وصار عمدة في المنطوق والمفهوم ، حتى توفي يوم الخميس ٢٨ ذي القعدة سنة ١٢٧٧ هـ/ ١٨٦٠م في الراجح ، وجاء في هدية العارفين ، و«إيضاح المكنون» ومؤلفهما واحد ، وفي «حلية البشر» للبيطار ، أنه توفي سنة ١٢٧٦ هـ ، ودفن الشيخ بتربة المجاورين بالقاهرة.

ثانياً: نشاطه العلمي: ظهر نشاط الباجوري في مجالين أساسيين ، الأول في الناحية العلمية التدريس والتأليف ، والثاني في الناحية الإدارية وتولي مشيخة الأزهر.

أما التدريس فقد اشتغل الشيخ الباجوري في التدريس بالجامع الأزهر ، ولزم الإفادة والتعليم ، وكان ديدنه التعلم والاستفادة ، والمواظبة على مجالس التدريس ، حتى صار ذلك سجية له وعادة ، ولازم إعطاء الدروس بعد القيام بمشيخة الأزهر ، وكان عباس باشا ، خديوي مصر ، يزوره في درسه بالأزهر ، ولا يقوم له ، بل يهيىء له كرسياً من جريد يجلس عليه خارج الدرس ، وكان الشيخ يدرس العلوم الشرعية والعقلية والعربية ، واستمر على ذلك إلى أن كبر سنّه ، ودرَّس في آخر حياته التفسير من كتاب «الفخر الرازي في تفسير القرآن الكريم» ، وحضر دروسَه أفاضلُ علماء الجامع الأزهر ، ولم يكمل قراءة هذا التفسير عليهم بسبب ضعف اعتراه ، وأعقبه الموت.

ونظراً لمكانة الشيخ العلمية ، وكفاءته الإدارية ، فقد أسندت إليه

رئاسة الجامع الأزهر ، وتقلدها في شهر شعبان سنة ١٢٦٣ هـ ، وكان من حقه أن يتولى مشيخة الجامع الأزهر قبل ذلك ، ويتقدم على الشيخ أحمد عبد الجواد الذي تولى هذا المنصب بعد وفاة الشيخ حسن القويسني سنة ١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٤م ، ولكن المقادير لم تساعد الشيخ الباجوري على ذلك ، وكانت نفسه تتشوف لهذا المنصب ، ويحس أنه جدير به ، وأهل له ، فلما تولاها متأخراً ، وهنأه الناس بالمشيخة نظم قصيدة ، وفيها :

يـا دهـر أعـط القـوس بـاريهـا فقد أفرطت في التقديم والتأخير

إلى أن قال في تاريخ توليته المشيخة :

وزهت بك العليا وقالت أرخوا أبهـى إمـام لهـا الشيـخ بـاجـوري

وبقي شيخاً للجامع الأزهر إلى أن توفاه الله تعالى ، وعمره خمس وسبعون سنة ، واستمر الشيخ قائماً على التدريس ومشيخة الأزهر مع كبر سنّه ، وحصل في آخر عهده حوادث واضطرابات بالأزهر ، أوجبت إقامة أربعة وكلاء عنه للقيام بواجبات الوظيفة تحت رئاسة الشيخ مصطفى العمروسي ، مع الشيخ أحمد العدوي (مالكي) والشيخ أحمد الحلبي (حنفي) والشيخ خليفة الفشني (شافعي) والشيخ مصطفى الصاوي (شافعي) ، وقامت هذه اللجنة بعمل الشيخ الباجوري لتقدم سنه ، واستمرت في عملها حتى بعد وفاته إلى عام ١٢٨١ هـ/ ١٩٦٤م ، فعين رئيسها الشيخ مصطفى العمروسي شيخاً للجامع الأزهر .

ثالثاً: مؤلفاته: ألف الشيخ الباجوري الكتب الكثيرة ، والحواشي المتنوعة في عدة فنون ، وفي مختلف العلوم ، ومعظم مؤلفاته مطبوعة ، وانتفع الطلاب والناس بها في حياته ، وبعد وفاته ، وأعيد طبع كثير منها عدة مرات ، وهي :

١ ـ كتب التوحيد والعقيدة وعلم الكلام ، وكان الشيخ محلقاً ومتعمقاً بهذا العلم ، وصنف فيه عدة كتب ، وهي :

أ ـ تحفة المريد على جوهرة التوحيد للقاني ، في علم الكلام .

ب ـ تحقيق المقام على كفاية العوام ، فيما يجب عليهم من علم الكلام ، وهي حاشية على كتاب شيخه محمد الفضالي ، ألفها بإذن منه ، وفرغ من جمعها سنة ١٢٢٣ هـ ، وهو في ريعان الشباب ، وطبعت عدة مرات ، منها طبعة حجر سنة ١٢٧٩ هـ في ٨٨ صفحة .

ج ـ الدرر الحسان على فتح الرحمن فيما يحصل به الإسلام والإيمان للزبيدي .

د ـ حاشية على رسالة «لا إله إلا الله» لشيخه الفضالي ، مطبوعة في المطبعة الميمنية بمصر في ٤٠ صفحة .

هـ ـ رسالة في علم التوحيد ، طبعت في مطبعة المدارس سنة ١٢٨٩ هـ ، وتقع في ١٦ صفحة .

٢ ـ كتب الفقه ، كان الشيخ الباجوري من فقهاء الشافعية ، ودرس فقه المذهب ، وصنف فيه :

أ ـ التحفة الخيرية ، حاشية على «الفوائد الشنشورية» في أحكام الفرائض وعلم المواريث ، وتقع في مجلد .

ب ـ حاشية على شرح ابن قاسم الغزي لمتن أبي شجاع في الفقه الشافعي ، وهي مجلدان ، وطبعت مرتين .

ج ـ منح الغفار على ضوء المصباح في أحكام النكاح .

٣ ـ كتب اللغة ، كان الشيخ الباجوري ضليعاً في علوم اللغة ، وخاصة في النحو والصرف والبلاغة والبيان ، ودرّس هذه العلوم ، وصنف فيها عدة كتب ، وهي :

أ ـ فتح الخبير اللطيف بشرح متن ونظم الترصيف في علم التصريف لابن عيسى العمري المعروف بالمرشدي ، في الصرف ، مطبوع بمصر

عدة مرات ، منها في مطبعة مصر سنة ١٣١٣ هـ في ١١٤ صفحة ، والمطبعة الميمنية في ٦٤ صفحة.

ب ـ فتح رب البرية على الدرة البهية في شرح «نظم الأجْرومية» لشرف الدين يحيى العمريطي ، في النحو ، مجلد ، مطبوع في ٦٠ صفحة ، وبهامشها «الدرة البهية» المذكورة.

ج ـ حاشية على متن السمرقندية في الاستعارات ، في البلاغة وعلم البيان.

٤ ـ كتب المنطق: كان الشيخ الباجوري متقناً لعلم المنطق الذي تدور عليه علوم الآلة ، واشتغل الشيخ فيه تدريساً وتصنيفاً ، وله الكتب التالية فيه:

أ ـ حاشية على «متن السلم المنورق» في المنطق ، مطبوعة ، ومعها تقريرات الشيخ شمس الدين الأنبابي الشافعي شيخ الجامع الأزهر من عام ١٢٩٩ هـ/ ١٨٨٧م إلى عام ١٣١٢ هـ/ ١٨٩٥م ، وتولاها مرتين ، وهو الذي أفتى بإدخال العلوم العصرية إلى الأزهر ، ويروى عن الأنبابي أنه لم يقم إلى اللورد كرومر عندما أتاه وصافحه ، وهو جالس لدرجة أن كرومر قال له: «لو صافحك الخديوي هل ستقف إليه؟ فأجابه الشيخ الأنبابي قائلاً: لا أقف لك ، لأنك لست منا» ، وكان الخديوي نفسه يرهب كرومر ، ويتملق له.

ب ـ حاشية الباجوري على شرح مختصر السنوسي ، وهي حاشية مختصرة في فن الميزان من علم المنطق ، وطبعت ضمن مجموعة كتب.

جـ ـ حاشية على شرح متن السلم للأخضري في علم الميزان في المنطق.

٥ ـ كتب السيرة النبوية والمدائح ، كان للشيخ الباجوري وَلَهٌ عظيم ، وحبٌّ جسيم لآل بيت النبي ﷺ ، وكان يكثر من زيارة قبورهم بمصر ، ويتردد على أبواب حضراتهم ، وصنف في ذلك عدة كتب وحواشٍ منها:

أ ـ تحفة البشر على مولد المصطفى للعلامة ابن حجر الهيثمي.
ب ـ حاشية على قصيدة «بانت سعاد» لكعب بن زهير ، مطبوعة.
ج ـ حاشية على متن «البردة الشريفة للبوصيري» مطبوعة ، وعلى هامشها شرح الشيخ خالد الأزهري على البردة في ٨٣ صفحة.
د ـ حاشية على مولد المصطفى للشيخ أحمد الدردير ، مطبوعة بالمطبعة الخيرية بمصر ، سنة ١٣٠٤ هـ.
هـ ـ المواهب اللدنية ، حاشية على «الشمائل المحمدية للترمذي» مطبوعة وعلى هامشها «متن الشمائل».

٦ ـ كتب أخرى: كان الشيخ الباجوري منكباً على التأليف والتصنيف حتى آخر حياته ، وشرع في كتابة عدة كتب لم يكملها ، منها «حاشية على جمع الجوامع لابن السبكي» في أصول الفقه ، و«حاشية على شرح السعد التفتازاني لعقائد النسفي» في التوحيد والعقيدة ، و«حاشية على شرح المنهج» في الفقه ، وتعليق على تفسير الفخر الرازي.

وهكذا بقي الشيخ الباجوري طالب علم من المهد إلى اللحد ، واستمر على العطاء والإنتاج طوال الحياة ، وواظب على الإشراف على مشيخة الأزهر حتى لبى نداء ربه ، وترك لطلابه وأمته ذخيرة علمية ، ونتاجاً وفيراً ، وذكراً دائماً ، وشارك في قمة المناصب الدينية والتدريسية ، ليكون أنموذجاً لرجل العلم والعمل في التدين وخدمة الوطن والدين ، فجزاه الله خير الجزاء ، ورحمه الله تعالى في مستقر رحمته ، ونفعنا الله بعلمه. والحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث:

١ ـ الأزهر في ألف عام ، للدكتور أحمد محمد عوف ، سلسلة البحوث الإسلامية في مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م.
٢ ـ الأعلام ، خير الدين الزركلي ، الطبعة الثالثة ، بيروت.

٣ ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، إسماعيل باشا البغدادي ، طبعة إستانبول ١٩٤٥م/ ١٣٦٤ هـ.
٤ ـ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، للشيخ عبد الرزاق البيطار (١٢٥٣ هـ/ ١٣٣٥هـ) ، حققه محمد بهجة البيطار ، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.
٥ ـ الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ، علي باشا مبارك ، الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية ، بولاق مصر ، سنة ١٣٠٥هـ.
٦ ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة ، يوسف اليان سركيس ، مطبعة سركيس بمصر سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.
٧ ـ هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل باشا البغدادي. طبع إستانبول سنة ١٩٥١م ، وأعيد طبعه بالأوفست ـ منشوات مكتبة المثنى ـ بغداد.

* * *